المشاكل الحضرية في المدن العراقية
(الفوضى المعمارية في بغداد)

الاستاذ. سوسن صبيح حمدان*
كلية التربية الاساسية / قسم الجغرافية
sawsansabeh5273@yahoo.com

المستخلص:
تطورت مدينة بغداد خلال الثماني قرون المنصرمة، وتعرضت خلال عمرها الطويل لموجات متعددة من الغزوات الاجنبية والتي تركت طابعها الخاص على المدينة، الا ان اكبر تغيير حدث فيها خلال القرن العشرين حيث تعددت الانظمة السياسية التي توالت على العراق منذ الاحتلال الانكليزي وحتى الان، الامر الذي طبع المدينة بطابع جديد، مما ادى الى تغيير مورفولوجية المدينة، وبالتالي توارى المُخَطَّط العربي التقليدي في الظل في الوقت الذي ظهرت فيه اشكال تخطيطية جديدة ومختلفة.
ان التداخل بين المخطط التقليدي القديم للمدينة والانماط التخطيطية الحديثة التي تحاكي المدينة الغربية من جهة وتحاول ان تواكب التطورات التقنية من جهة اخرى، ساهم بظهور الخلط المعماري والتداخل بين الانماط المعمارية التي اخذت تسود وتلك التي تحتفظ بالموروث الحضاري، مما خلق شكلاً من اشكال الفوضى المعمارية، فضلاً عن اشكال الفوضى المعمارية الاخرى التي تعاني منها المدينة المتمثلة بتدهور المدينة القديمة والتداخل الوظيفي بين استخدامات الارض في المنطقة الواحدة وانتشار العشوائيات.
الكلمات المفتاحية: مدينة بغداد، المراحل المورفولوجية، الفوضى المعمارية.

المقدمة Introduction:
تعد المدينة مرآة الحضارة فتعكس طبيعة الشعب الذي يعيش فيها، وتنعكس بذلك فلسفته الاجتماعية وتقدمه العلمي على مبانيها ومنشآتها ونظامها التخطيطي، وهي بدورها توضح طبيعة حياة ذلك الشعب ومختلف عناصر نشاطاته، ومن آثار ومخلفات المدن القديمة يمكن معرفة حضاراته وثقافاته.
يهدف هذا البحث الى بيان طبيعة الموروث العمراني في مدينة بغداد والمتمثل بالأبنية التاريخية والتراثية وتخطيط المدينة القديمة، والخلط المعماري الحاصل بفعل انتشار الطراز المعماري الغربي المعاصر مع بقاء الطراز الشرقي التقليدي، وتدهور الابنية التراثية وانتشار العشوائيات الوظيفية المختلفة في مناطق متعددة من المدينة، الامر الذي يسبب نمطاً من التلوث البصري متمثل بعدم التناسق في النظام المعماري والتخطيطي للمدينة وهو ما يعرف بالفوضى المعمارية.
تتحدد **مشكلة البحث** بالتساؤل الاتي: هل ان المخططات المعتمدة في التصاميم الاساس لمدينة بغداد والطرز المعمارية الحديثة جاءت ملائمة لحاجة مجتمع المدينة ومتوافقة مع النظام البيئي والثقافي والاجتماعي للسكان؟
يفترض هذا البحث ان عدم مراعاة النظام البيئي والمناخي لمدينة بغداد والواقع الاجتماعي وطبيعة المجتمع العربي، في وضع التصاميم الحديثة لمخططات المدينة

* sawsansabeh5273@yahoo.com

وتغيير النظام المعماري للأبنية والمنشآت ونظام الشوارع، وعدم الاهتمام بالموروث الحضاري صيانةً ومحاكاة، كل ذلك تسبب بحدوث تداخل بين نظامين مختلفين في التصميم واسلوب البناء بشكل غير متناسق تسبب بظهور نظام فوضوي في مظهر المدينة العام. اعتمد هذا البحث للوصول الى النتائج الختامية على عدة محاور، خصص الاول لمناقشة المراحل المورفولوجية لنمو مدينة بغداد، وناقش المبحث الثالث الموروث العمراني في المدينة في حين تناول المبحث الثالث التجديد الحضري للمدينة ودوره في ظهور الفوضى المعمارية.

المبحث الاول/ المراحل المورفولوجية لنمو المدن

The first topic / morphological stages of urban growth

ان المدينة لا تظهر بصورة مفاجئة وسريعة، بل تمر بمراحل متعددة خلال نشأتها ونموها، وتتأثر الى حدٍ بعيد بالعناصر الطبيعية في الموقع الذي تقع فيه، من حيث وظائفها وحجم سكانها وعلاقاتها الخارجية مع المناطق التي تحيط بها اقليمها، ان وظائف وتخصصات المدن لم تظهر دفعة واحدة بل مرت بمراحل تطويرية لذلك اختلفت بنسبة تلك المدن واحجامها السكانية خلال مراحل معينة تبعاً لاختلاف نشاطاتها ووظائفها وهذا ما يعرف اليوم باسم التطور المورفولوجي للمدن، وبطبيعة الحال فإن انتقال المدن من مرحلة معينة ذات مواصفات وظيفية معينة تعبر عنها البنية الوظيفية للمدينة (مرحلة مورفولوجية مميزة يصورها شكل المدينة الخارجي) الى مرحلة اخرى ذات شكل مورفولوجي يحدث دون ان تغيب المعالم المورفولوجية السابقة، بل تضاف او تنقص منها بعض الشيء بحيث تبقى المعالم السابقة لتعبر عن وظائفها المحلية والاقليمية آنذاك فتظهر المراحل المورفولوجية المميزة لكل فترة، ويظهر عبرها نمط من الابنية بوصفها احد العناصر المورفولوجية (الخطط، استعمالات الارض، الابنية)، ليصل تقدم بعض الوظائف او يجري تغييرها بحكم سياسات التجديد الحضري كالتطور او الحفاظ او اعادة التأهيل، مثل هذه الابنية ووظائفها يطلق عليها الموروث الحضاري الذي غالباً ما يتركز في قلب المدن ليشكل مركزها التقليدي لاسيما المدن العربية والاسلامية، ضمن مناطق استعمالات تسمى الاحياء القديمة او التقليدية والتي تسعى التصاميم الاساسية لتلك المدن الى ضمها والحفاظ عليها(العاني والطائي، 2018، 446، 448، 452).

المراحل المورفولوجية لمدينة بغداد : Morphological stages of the city of Baghdad

شهدت المدينة العراقية بشكل عام ومدينة بغداد على وجه الخصوص مراحل متعددة في نموها وتطورها كانت استجابة للمتغيرات البيئية والعمرانية والتخطيطية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مما انعكس على نسيجها واستعمالات الارض فيها ودرجة توسعها والوظائف التي تقدمها المدينة. لقد خضعت المدن العراقية على اختلاف مراحل التاريخ لعوامل تكاد تكون واحدة أثرت فيها ووجهت عمرانها واستعمالات الارض فيها وخصائص مبانيها، حيث تتميز الظروف الطبيعية في العراق بارتفاع درجات الحرارة وقلة الامطار وهبوب العواصف الترابية مما أثر على شكل المدينة، حيث اصبحت الدور والمباني متجمعة ومتلاصقة والازقة ضيقة وملتوية وبعضها غير سالك، وقد ظهر تأثير الظروف الاجتماعية والدينية والاقتصادية بشكلٍ واضح في تخطيط المدينة، من خلال تمركز المسجد الجامع الذي يعد المحور الذي تقوم حوله مختلف الهياكل المعمارية للمدينة

وكثيراً ما نجد بالقرب منه مجموعة من الاسواق التي تقوم والى عهدٍ قريب بدور الانتاج والترويح، كما تتوزع الاحياء السكنية حول الجامع والاسواق ودار الامارة او الخليفة او الوالي وكل حي سكني يمثل انتماءً قبلياً معيناً، اما الظروف السياسية فقد تعرض العراق الى موجات الغزو الاستعماري الاجنبي بمختلف اشكاله (العسكري والثقافي والاقتصادي والعمراني) الذي ترك تأثيره على المدينة، حيث انتشرت بعض المباني التي تحمل خصائص العمارة الغربية، ولا بد من الاشارة الى زيادة سكان المدن وارتفاع معدلات الهجرة من القرى والارياف وما فرضه التقدم التكنلوجي من وسائل والات كل ذلك تطلب من الهيئات الحكومية ان تعتمد خططاً لتنظيم استعمالات الارض الحضرية (الاشعب وصباح، 1983، 289، 290). يمكن ملاحظة مراحل مورفولوجية اساسية لنمو المدن بشكل عام والتي يمكن زيادتها حسب البعد التاريخي لكل مدينة وتطور بنيتها الوظيفية:

المرحلة المورفولوجية الاولى The first morphological stage

تتميز هذه المرحلة بتماسك اجزائها وكثافة كتلتها المعمارية المتقاربة وصغر المدينة نسبياً، حيث تبدو مؤلفة من وحدات جيرة (محلات سكنية) يسودها نظام (مرتبي) مميز لمختلف الوظائف وبالتالي الفضاءات المبنية وغير المبنية بما فيها انظمة الشوارع، فتظهر الوحدات السكنية متلاصقة وممتدة على جانبي الازقة الضيقة التي غالباً ما تكون طويلة وملتوية، كان لهذه التقاربات والتقابلات السكنية أثر كبير في الالفة والتماسك الاجتماعي الى درجة تبدو فيها المدينة وكأنها اقليم حضاري واحد(العاني والطائي، 2018، 453). تظهر هذه المرحلة في مدينة بغداد منذ نشأتها خلال المدة 145ه ـ 150ه اي في حدود سنة (762م ـ 767م)، ولغاية سقوطها في العام 656هـ (1258م) (شكل1)، وقسمت بدورها لعدة مراحل ثانوية متمثلة بمرحلة النمو والتوسع المستمر، ومرحلة الانكماش، ومرحلة الازدهار، ومرحلة التدهور والانحطاط (الفلاحي، 2004، 2-3).

شكل (١)
بغداد بين عامي ٧٦٧ ـ ٩١٢م

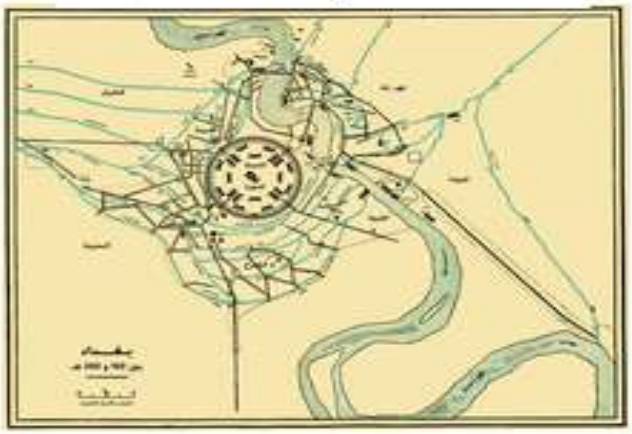

http://www.ar.wikipedia/wiki/بغداد

واهم ما يميز مدينة بغداد في هذه المرحلة من حيث الشكل المعماري ونظام التخطيط الحضري(الاشعب وصباح، 1983، 79- 80):

1- الوظيفة الدينية والمتمثلة بالمسجد الجامع الذي يكون ابرز الابنية معمارياً، ويؤدي دوراً وظيفياً هاماً حيث يجذب الاسواق الرئيسة والتي تمثل الشوارع الرئيسة في الوقت ذاته.

2 ـ نظام الازقة العضوية حيث تنظم البيوت المتصلة ببعضها البعض على جوانب الازقة التي جاءت انسجاماً مع البيئة المناخية ولأغراض دفاعية وبسبب النمو العضوي.

3 ـ وحدات سكنية منتشرة حول محور الساحة (الباحة)، كما تتميز المحلة السكنية باتباعها نظاماً تخطيطياً و اجتماعياً يراعي عدم وجود الخلط الوظيفي.

4 ـ السور الذي يحيط بالمدينة* لأغراض دفاعية وقد ازيل في حالات عديدة وعلى مراحل تاريخية مختلفة ولم يتبقى شاخصاً منه سوى بعض الاجزاء البسيطة مثل الباب الوسطاني قرب ضريح (عمر السهروردي) قريباً من شارع الشيخ عمر (صورة 1).

صورة (١)
سور بغداد القديم والباب الوسطاني

وخلال أعمال التشييد التي شهدتها مدينة بغداد لإنشاء الخط السريع، تم العثور على أجزاء لبناء قديم اتضح انه باب الحلبة (الطلسم) الذي هدمه العثمانيون عام 1917م (صورة 2)(الدليل السياحي، وزارة السياحة والاثار العراقية، شبكة الانترنيت).

5 ـ اعتماد نظام المراتب في مختلف النماذج المعمارية واستعمالات الارض مع ارتفاع كثافة البناء ضمن وحدة مساحية صغيرة.

6 ـ انتشار الاسواق التي يسودها التخصص والابنية التي تقدم خدمات عامة مثل الحمامات الشعبية والمدارس والخانات للمسافرين.

7 ـ بساطة مظهر الابنية من الخارج بالمقارنة مع الابداع في التصميم من الداخل.

* كان سور بغداد الشرقية يتألف من جدار سميك من الآجر تدعمه أبراج عديدة ويتقدمه خندق عميق متصل بدجلة وحوله مسناة، أما أهم أبواب السور الشرقي فكانت باب المعظم وباب الظفرية (الوسطاني) وباب الحلبة (الطلسم) وباب البصلية.

صورة (2)
باب الحلبة (الطلسم)

المرحلة المورفولوجية الثانية The second morphological stage **منذ بداية القرن العشرين وحتى 1929/** ظلت انماط استعمالات الارض تؤدي وظائفها المعمورة مع حدوث نمو حضاري يحمل مقومات جديدة املتها اتصالات العرب بالحضارات الغربية جراء الاستعمار والغزو الاجنبي لتدخل مميزات عمرانية جديدة مع حدوث بعض التغيرات على وظائف المرحلة السابقة(العاني والطائي، 2018، 453)، استمرت هذه المرحلة في مدينة بغداد حتى اواخر العشرينيات من القرن العشرين، وقد اقتصرت مدينة بغداد من الناحية العمرانية وحركة السكان فيها خلال المدة التي سبقت الاحتلال البريطاني على جانب الرصافة، ونتيجة لتردي الوضع العمراني في العقود اللاحقة فقد اكتظت بغداد وخاصةً المنطقة القديمة منها بالسكان وقد قدر عدد السكان في العام 1919، بحوالي(185الف) نسمة، وكانت تضم (57) محلة سكنية في جانب الرصافة و(22) محلة سكنية في الكرخ، وقدرت مساحة المدينة آنذاك بـ(9كم^2) إلا إن امتدادها وتوسعها ظل أسير الظروف الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية (الخوف من مخاطر الفيضانات والأوبئة)، كما إن محدودية وسائط النقل وتخلفها أجبر المدينة على عدم الابتعاد عن مناطق الأسواق ومراكز الخدمات وهذا ما يوضح سبب اكتظاظ المحلات السكنية وصغر مساحتها واحتشاد الوحدات السكنية فيها(شكل 2)، خاصةً في قلب المدينة القديمة، وتباينت تقديرات السكان في المدينة بين (130 -150الف) نسمة(صلاح الزبيدي، 1998، 64).

شكل (٢)
مدينة بغداد ١٩٢٩

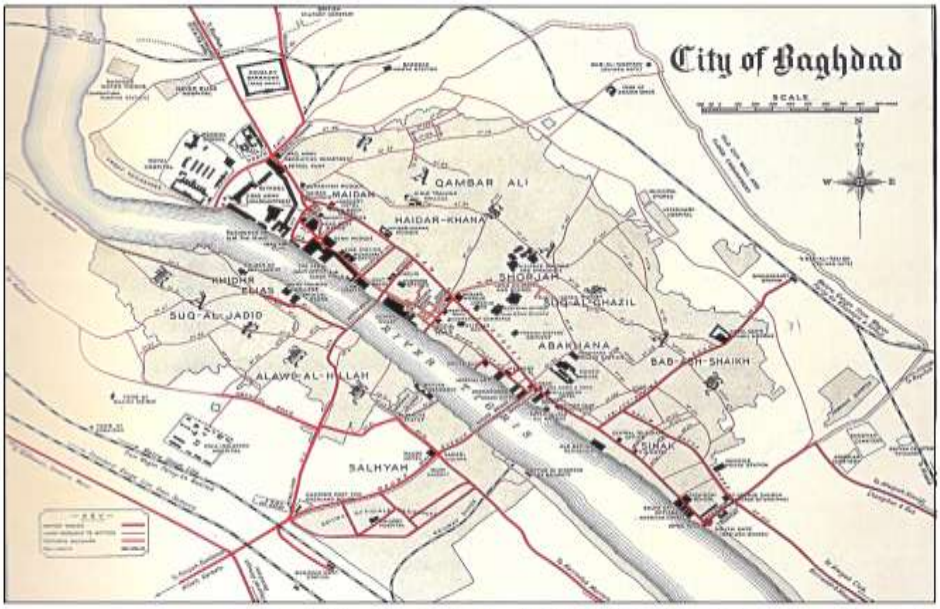

خريطة صادرة عن مديرية الاشغال العامة، طبعت في لندن
sabahalnassery.wordpress.com/2016/06/15

وتميزت البنية الحضرية لمدينة بغداد في هذه المدة بعدة خصائص(مصطفى الزبيدي، معهد التخطيط الاقليمي والحضري، شبكة الانترنيت):

1 ـ حافظت المدينة في هذه المرحلة على سماتها العربية الاسلامية ووحدتها العمرانية لأجزائها التقليدية ذات النسيج المتضام وهيمنة المسجد الجامع على خط السماء فيها، وبساطة التكوين لعناصرها العمرانية.

2ـ لا تزال انظمة الشوارع تتمثل بالنظام العضوي، ذات الازقة المتشابكة والملتوية التي جاءت منسجمة مع التركيب الاجتماعي في المدينة، وتقع على هذه الازقة البيوت التقليدية ذات الطراز الشرقي، لها مواصفاتها الخاصة في المخطط ومواد البناء والريازة، وتتجه الازقة الرئيسية نحو الجوامع والاسواق المركزية تتخللها ساحات عامة بدرجات مختلفة من الاهمية تخدم السكان كل حسب اهميته وموقعه.

3 ـ من ناحية استعمالات الارض في هذه المرحلة فإنها تتمثل بالسكن والتجارة والادارة والثقافة والخدمات، الا انه لم تتبلور في هذه المرحلة مناطق وظيفية داخل المدينة بعد، اذ ان الخلط الوظيفي كان من اهم سماتها، على الرغم من وجود منطقة تجارية مركزية تقع حول الجوامع والاسواق المركزية، ويمتاز مركز المدينة باحتضانه لمختلف الوظائف الدينية والحكومية والتجارية والخانات، كما تنتهي اليه الازقة الرئيسية.

المرحلة المورفولوجية الثالثة The third morphological stage 1930 لغاية 1959/ تعد هذه المرحلة معاصرة حيث ظهر اتجاه الى التنظيم المكاني للمدن والاقاليم، وفقاً لما يعرف بـ(التسوية الاجتماعية) المتمثلة بالتحركات السكانية الى مناطق اخرى ذات انماط عمرانية وسكانية مختلفة، نشأت لتستوعب الاعداد القادمة من مراكز المدن نحو اطرافها او (المهاجرين) من المدن الصغيرة او الارياف، وكان انشاء هذه المناطق يجري حول او على امتداد المناطق القديمة والتالية لها وفق معايير جديدة املتها سرعة حركة السكان من المناطق القديمة الى الجديدة، واهم هذه المعايير هي البنية التحتية والوسائل التكنلوجية، فكان لابد من تدخل الدولة بشكل يتناسب وديناميكية الحركة

الجديدة، فظهرت فعاليات التخطيط المحلي المتمثلة بـ(اعداد التصاميم الاساسية للمدن)، اضافة الى عمليات الاسكان الحكومي عبر (مشاريع السكن، توزيع الاراضي، انشاء المصارف العقارية) مما اخضع حركة المدن ونموها الى مؤشرات وبدائل النمو الحضري التي توجهها التصاميم الاساسية للمدن، هذا اضافة الى عمليات التجديد الحضري التي كانت تمارس على هياكل ووظائف المنطقة المركزية وفق سياسات التجديد التي تراعي خصوصية السكان والتطور المطلوب، في هذه المرحلة ظهرت الضواحي في اطراف المدن العربية على غرار مدن العالم الاخرى متأثرة بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية، كما ظهرت مناطق اخرى تمثلت بمنطقة (الحواف الحضرية والضواحي) ساهم وجودها في نمو المدينة بثلاث طرق (الملأ والزحف والقفز) وهذه لا يمكن معالجتها الا من خلال اعداد التصاميم الاساسية لعملية النمو الحضري (العاني والطائي، 2018، 454). في هذه المرحلة بدأ العراق يشهد تحولات اقتصادية اذ جاءت الزيادة في الموارد الاقتصادية مع اكتشاف النفط منذ اواخر العشرينيات وازدياد عمليات تصديره التي جاءت بصورة فعلية خلال الثلاثينيات بعد ابرام الاتفاقيات مع الشركات النفطية، الامر الذي أمن الاحتياجات المالية الضخمة في ذلك الوقت لعمليات التشييد والاعمار، تمتد هذه المرحلة حتى اواخر الخمسينيات من القرن العشرين، حيث شهدت مدينة تحول مدينة بغداد من النمو الدائري أو شبه الدائري الى الامتداد الطولي على محور نهر دجلة الى جانب النمو حول المراكز الاربعة (الرصافة والكرخ والاعظمية والكاظمية)(خضير ورنا، 2010، 97)، وقد بدأت في تلك الفترة بعض المجتمعات السكنية الجديدة في الظهور وأخذت الشكل الشريطي على طول نهر دجلة مما أدى إلى دمج بغداد القديمة المشيدة على جانب الرصافة والكرخ مع مدينتي الكاظمية والأعظمية في الشمال والكرادة الشرقية في الجنوب، وساهم في نشوء العديد من الأحياء السكنية الجديدة(صلاح الزبيدي، 1998، 64)، وبدأ النظام الشبكي للشوارع بالظهور مع التطورات السياسية التي قادت الى تطورات اقتصادية وعمرانية وتخطيطية تمثلت بنشوء عمارة الحداثة وانتشار ابنيتها ضمن النسيج التقليدي مما استدعى الى تغيير في بنية المدينة، وتميزت مدينة بغداد في هذه المرحلة بعدة مميزات:

1ـ امتازت الاحياء السكنية الجديدة بانها ذات انفتاحية وقيامها على نظام شبكي للشوارع، وازدادت اهمية المدينة مع تطور وسائط النقل والمواصلات، حيث نشط الدور الوظيفي لها مما اثر على البنية الداخلية للمدينة، حيث شقت الشوارع المستقيمة داخل البنية الحضرية للنسيج القديم مثل شوارع (الرشيد والكفاح والجمهورية)(مصطفى الزبيدي، معهد التخطيط الاقليمي والحضري، الانترنيت)، رافق ذلك تطورات في مجال الخدمات (التعليم والصحة) الامر الذي ادى الى ان تحتل مؤسسات هذه الخدمات مساحة واسعة ضمن الحيز المكاني للمدينة، كما ظهر الفصل بين المناطق على اساس الاداء الوظيفي لها(يوسف، 1982، 458).

2 ـ شهدت المناطق الدينية في مدينة بغداد نمواً متسارعاً حول الجوامع والاضرحة، وتمثل ذلك بالنمو الحاصل حول اضرحة الامام موسى الكاظم في الكاظمية والامام الاعظم ابو حنيفة النعمان في الاعظمية، والشيخ عبد القادر الكيلاني في الرصافة(مصطفى الزبيدي، معهد التخطيط الاقليمي والحضري، الانترنيت).

3 ـ بدأت الابنية العالية في الظهور على طول الشوارع الجديدة وصاحب ذلك تهديم مستمر للأبنية التقليدية في المركز خاصةً، استمرت المنطقة المركزية التجارية بموقعها ولكن اصابها التغيير والتوسع ونشوء الابنية العالية فيها والتباين المعماري ما بين عناصرها العمرانية (الخلط بين القديم والحديث)، واحتواءها على اعلى تجمع من الجوامع والخانات والاسواق والوظائف الادارية والحكومية(مصطفى الزبيدي، معهد التخطيط الاقليمي والحضري، الانترنيت)، ومع انتشار الابنية العالية كانت الابنية الدينية ومناراتها لا تزال تسود سماء بغداد، ومن هذه المرحلة اصبح (الخلط المعماري) هو الشكل السائد في المدينة، وبدأ الانسجام المعماري بالتخلخل واخذت الفوضى المعمارية بالانتشار، فتحولت بغداد الى كيان حضري مهجن(الاشعب، 1982، 95).

لم تشهد مدينة بغداد بين عامي 1933 ـ1950، (شكل 3) إلا توسعاً بطيئاً بسبب عدم الاستقرار السياسي، فضلاً عن انخفاض مستوى دخل الفرد مما حد من التوسع العمراني في هذه المدينة.

شكل (٣)
مدينة بغداد عام ١٩٣٣

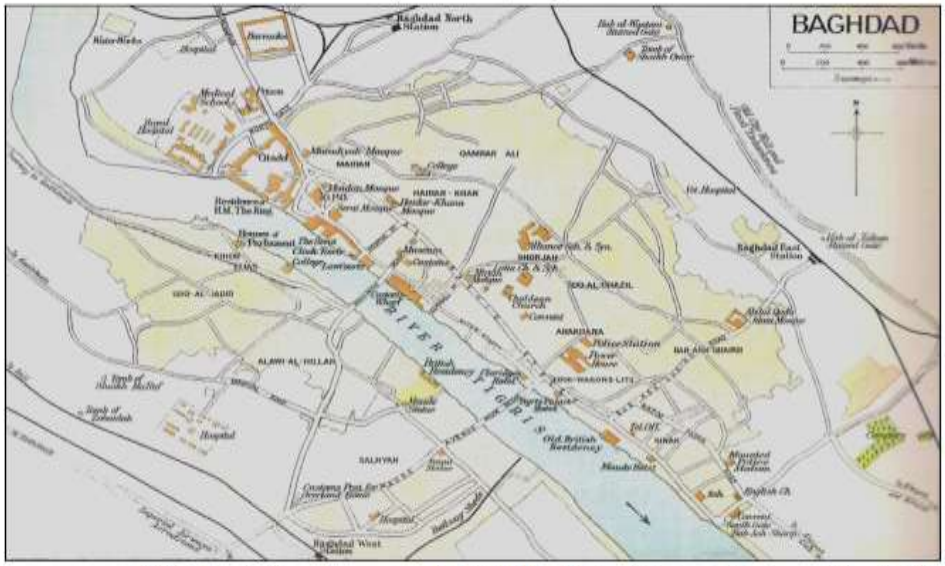

الخارطة صدرت من قبل دليل cook السياحي في العام ١٩٣٤
sabahalnassery.wordpress.com/2016/06/15

لذا لم يأخذ النمو الحضري شكلاً شاملاً لكل المدينة، وإنما هو امتداد شريطي مع نهر دجلة، وبلغت مساحة المدينة في تلك المدة حوالي(101كم^2) (شكل 4) وفي أعقاب فيضان 1952، والفيضان الكبير عام1954، نزحت إلى بغداد موجات متعاقبة من السكان استوطنت أطراف المدينة في بيوت من الطين والأكواخ والصرائف بهيئة سكن عشوائي بادئ الأمر حتى نشأت نتيجةً لذلك أحياء مختلفة مثل (الدورة) و(الشعلة) و(خلف السدة) و(الشاكرية)(صلاح الزبيدي، 1998، 64)، الأمر الذي ساهم في توسع الحدود البلدية لمدينة بغداد إذ تضاعفت إلى (8) مرات عما كانت عليه من (101كم^2 الى 850كم^2) في العام 1956(الفلاحي، 2004، 4).

شكل (٤)

مدينة بغداد عام ١٩٥١

http://www.ar.wikipedia/wiki/بغداد

المرحلة المورفولوجية الرابعة The fourth morphological stage مدينة بغداد ما بعد 1960/ وصلت مدينة بغداد في هذه المرحلة الى نضج عمراني وتخطيطي اعتماداً على التغيرات السياسية والنهضة الاقتصادية التي شهدها العراق، وانتشرت عمارة الحداثة في معظم مناطقها تنوعت بين ابنية ادارية وتجارية وحكومية متعددة الطوابق وبين سكنية متنوعة، في هذه المرحلة توسعت بغداد بنمطين، الاول طولي على امتداد الطرق الرئيسية، والثاني حول نوى وظيفية ومعمارية كالأسواق والجوامع وتقاطعات الطرق، وقد رافق هذا التطور الوظيفي لبغداد تطوراً معمارياً كبيراً منعكساً على ازدياد اهميتها، وتغير استعمالات الارض داخل المدينة وتغير المفاهيم المتجددة او اعادة النظر بها تبعاً لمتطلبات الحداثة وفق ومنظور معماري وتخطيطي جديد، تبعه انتقال الحركة العمرانية من المناطق القديمة التي تمثل النواة المركزية للمدينة باتجاه الاطراف، وقد حدث نتيجة تصارع قوتين (القوة الطاردة من المركز) و (القوة الجاذبة للمركز)(خضير، و رنا، 2010، 102- 103).

اخذ النمو العمراني في مدينة بغداد خلال هذه المرحلة عدة انماط (مصطفى الزبيدي، معهد التخطيط الاقليمي والحضري، الانترنيت):

1 ـ الامتداد العمودي من خلال تهديم الابنية القديمة والتقليدية واقامة ابنية متعددة الطوابق ذات استخدامات مختلفة.

2 ـ البناء في المناطق غير المبنية داخل الرقعة المتطورة (تطوير الاراضي غير المبنية).

3 ـ شهدت الوظيفة السكنية تغيراً كبيراً من حيث الطراز المعماري مع الاحتفاظ بالأنماط القديمة الامر الذي خلق خلطاً معمارياً في هذا القطاع، فظهر البيت العربي التقليدي، والبيت العربي التقليدي المحور، والبيت العربي المغلق، والبيت الغربي المغلق، وحدوث التداخل بين الانماط العمرانية القديمة للوحدات السكنية، والانماط العمرانية المعاصرة للمباني ذات الاستخدامات المختلفة تسبب بظهور حالة الفوضى المعمارية في العديد من شوارع المدينة.

4 ـ من ناحية خط السماء لمدينة بغداد ظهرت فيها ثلاث مستويات، الاول ارتفاعه من طابق او طابقين وهو يمثل في الغالب الوحدات السكنية، وينتشر في الاحياء السكنية من

المدينة القديمة والحديثة، اما المستوى الثاني فيتمثل بالقباب والجوامع وخزانات الماء والعمارات السكنية المؤلفة من ثلاث الى اربع طوابق، اما المستوى الثالث الابنية الضخمة التي يزيد ارتفاعها عن الستة طوابق كتلك التي تتمركز بالدرجة الرئيسية في قلب المدينة التجاري.

اهم ما يميز هذه المرحلة من مراحل التطور المورفولوجي للمدينة هو وضع تصميم اساس لمدينة بغداد** من اجل السيطرة على التوسع والنمو العمراني تساعد على تطور النسيج الحضري، ومن اهم تلك المخططات:

1 - مخطط مينوبريو، سبنسلي وماكفالين (Minoprio, Spencely and Macfarlane) من المملكة المتحدة عام 1956، كما هو مبين في (شكل 5).

شكل (٥)

مخطط مينوبريو عام ١٩٥٦

شاكر سلمان الزبيدي، دراسة شبكات النقل لمدينة بغداد بين التصميم والتنفيذ، المنظور العمراني لمدينة بغداد، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص٣٥٩.

2 ـ مخطط مدينة بغداد المعد من قبل مؤسسة دوكسياديس وشركاه (Doxiades and associates) اليونانية عام 1959، كما هو مبين في (شكل 6).

3 ـ التصميم الأساسي المعد من قبل مؤسسة بول سيرفس (البولونية) للأعوام 1965-1973 كما هو واضح في (الشكل 7).

** تم الاستعانة بمخططين اجانب نظراً لنقص الكوادر الفنية والتقنية والمخططين المحليين الكفوئين لإعداد مخطط اساس للمدينة يحدد بموجبه الضوابط يحدد بموجبه الضوابط التي تكون علاجاً للجوانب السلبية المؤثرة على الحالة العمرانية للمدينة

شكل (٦)
مخطط مدينة بغداد من تصميم دوكسياديس عام

عقيل نوري الملاحويش، العمارة الحديثة في العراق تحليل مقارن في هندسة العمارة والتخطيط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص٦٣.

شكل (٧)
التصميم الاساس لمدينة بغداد من اعداد مؤسسة
بول سيرفس ١٩٦٥ ـ ١٩٧٣

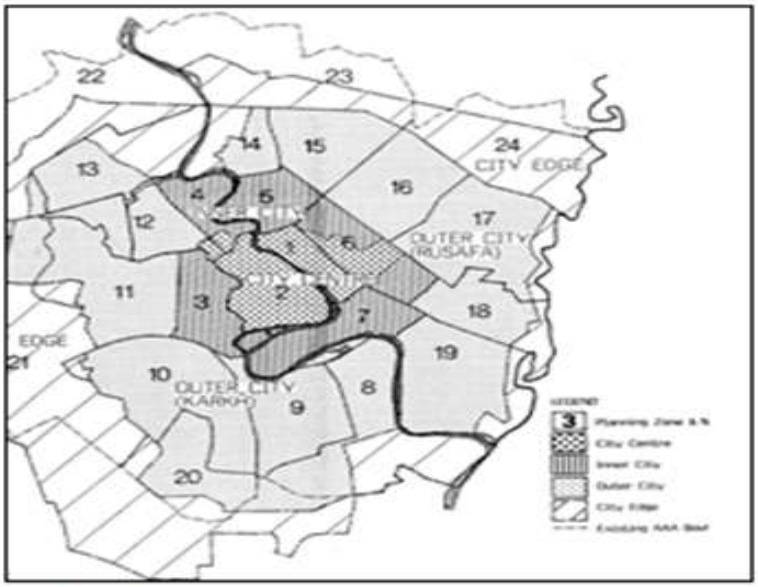

قانون التصميم الأساس لمدينة بغداد رقم ١٥٦ لسنة ١٩٧١، المكتبة القانونية العراقية للحكم المحلي، بغداد، ١٩٧٢.

4 ـ المخطط الإنمائي الشامل المعد من قبل مؤسسة (JCCF) اليابانية عام 1984 وما بعدها، وكما هو واضح من (الشكل 8).

شكل (٨)

بعض مقترحات المخطط الانمائي الشامل لمدينة بغداد للاستشاريين اليابانيين

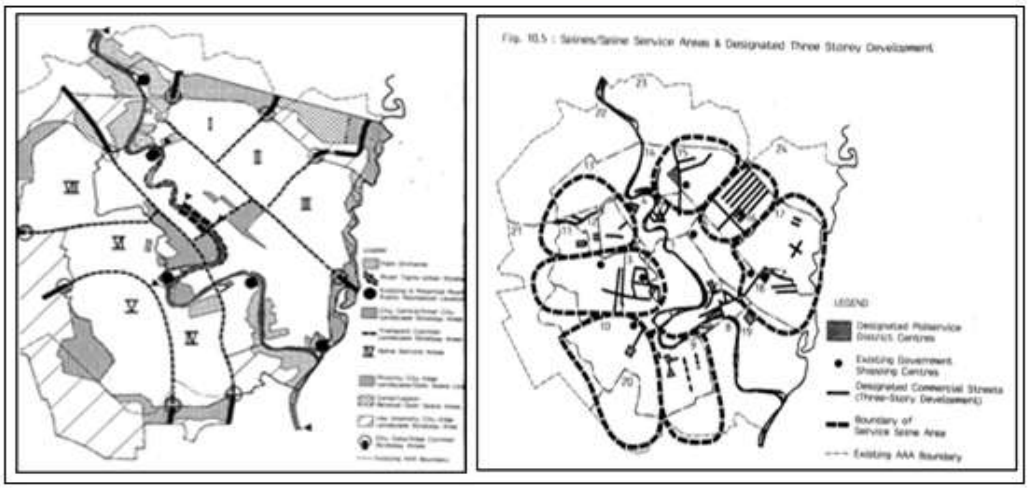

تخطيط مدينة بغداد السيطرة على استعمالات الأرض، أمانة بغداد،

الموضوع على شبكة الانترنيت على الرابط:

http://www.amanatbaghdad.org.iq/uploads/mandoorbaghdad/7.doc

المبحث الثاني/ الموروث العمراني في مدينة بغداد

The second topic / urban heritage in the city of Baghdad

التراث العمراني لمدينة بغداد على مدى خطها الزمني منذ ان أسسها الخليفة العباسي (ابو جعفر المنصور) مروراً بكل المراحل التاريخية التي مرت بها، تمثل ارثاً حضارياً زاخراً ببعده التاريخي، ونمطه الحياتي المميز ونسيجه العمراني المتماسك واهميته جاءت من كونه نتاجاً يحتوي على طبقات متوالية من التاريخ البشري(مبارك، التراث العمراني لبغداد، الانترنيت)، والذي امتاز بثلاث مميزات رئيسة هي(Al- Bayaty, 1983, 113):

1- الوحدة والتوجه نحو الداخل، ويبدأ الاحساس بالوحدة حال دخول المدينة عبر بواباتها.

2- الجزء والكل لهما الاهمية نفسها في تشكيل النسيج حيث يؤثران ويتأثران احدهما بالآخر، على عكس النسيج الحضري للمدن الحديثة حيث ان الكل اهم من الجزء.

3- ان التآلف والتفاعل في سلوك واراء سكان المدينة انعكس على شكل النسيج الحضري بشكل عضوي وتلقائي. وبذلك يمثل الموروث العمراني لمدينة بغداد تاريخها وثقافتها ويساعد على ربط سكانها بعضهم مع البعض الاخر ويمنحهم شعوراً بالانتماء، فضلاً عن ان مختلف المعالم التراثية والتاريخية والاثرية والدينية تمثل احد العوامل المهمة في تأسيس قاعدة اقتصادية متينة للمدينة لاسيما في مجال السياحة، لذا فإن ادخال أي تغيير في معالم الموروث العمراني يشكل تهديدا له في حال عدم الاخذ بنظر الاعتبار هويتها التاريخية والحضارية، وقد نجحت العديد من الدول في الحفاظ على موروثها العمراني الامر الذي ساهم بتطوير قطاعي السياحة والاقتصاد فيها بشكل ملحوظ كما هو الحال في مدن مثل اسطنبول واصفهان والقاهرة ومراكش ودمشق (قبل الاحداث الاخيرة فيها)(الانصاري، التراث العمراني للمدن، الانترنيت).

اشكال الموروث العمراني Forms of urban heritage

يتمثل الموروث العمراني في المدن بعدة اشكال(العاني والطائي، 2018، 456، 457):

1- مباني الاحياء القديمة في المدن او المناطق التي تشتمل على مستقرات بشرية والتي تعكس انماطاً مختلفة من الحياة البشرية بكل معطياتها الفكرية والقيمية والسلوكية، حيث تشكل مباني الاحياء السكنية صدى لهذه القيم في فترات مختلفة من الاستيطان، مثل حي الفضل(صورة3) وهو من احياء بغداد القديمة التي تقع في جانب الرصافة ومن اهم المعالم التاريخية الباقية فيه (جامع الفضل)*** الذي لا يزال يشغل موقعه في وسط بغداد الشرقية(القدسي، منطقة الفضل، الانترنيت)، وكذلك محلة الشواكة وهي من المحال البغدادية القديمة كانت ولا تزال مركزاً تجارياً له اهمية كبيرة فضلاً عن اهميتها التاريخية، **ولم يتبقى من هذه المحلة سوى ملامح الابواب الخشبية للمنازل وسمات المحلة البغدادية، وتمتاز بيوت هذه المحلة بطرازها المعماري البغدادي حيث تزين واجهاتها الشناشيل والنقوش** (صورة4) **الا ان اغلبها بات يعاني من الاهمال(الملاح، منطقة الشواكة، الانترنيت)**، ومن **الابنية التراثية المهمة في مناطق بغداد القديمة البيوت والخانات والاسواق والمحال التجارية التراثية الواقعة في جانب الرصافة ضمن مقتربات شوارع الرشيد والجمهورية والكفاح التي عانت ولا تزال تعاني من الاهمال.**

صورة (٣)

حي الفضل في جانب الرصافة في مدينة بغداد

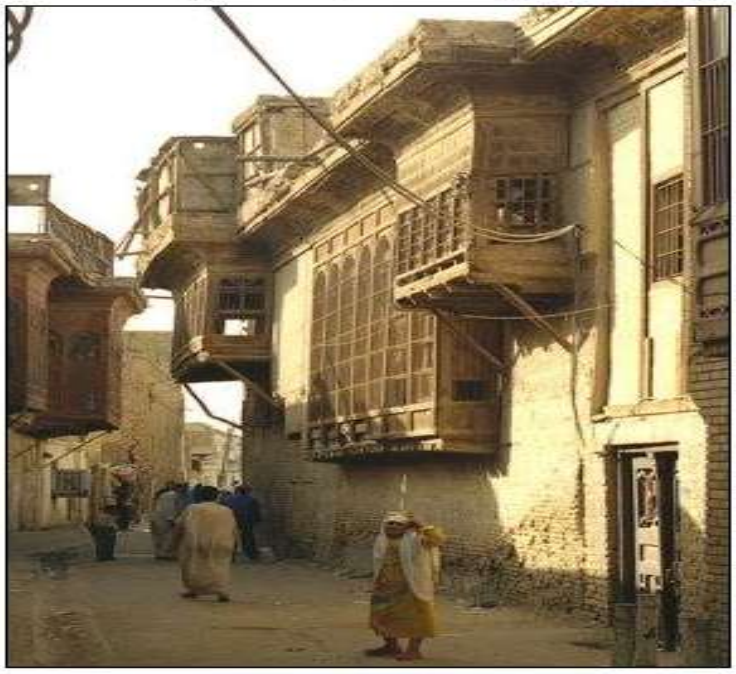

*** يعود الى قبر الفضل ابن سهل بن بشر الشافعي الواعظ البغدادي المتوفي سنة 548 هـ وقيل نسبة إلى الفضل بن الربيع حاجب الخليفة هارون الرشيد.

صورة (٤)
جانب من محلة الشواكة في بغداد

2- المباني التي لا تزال تحتفظ بقيم جمالية او نفعية يمكن تأهيلها لتقوم بوظائف او خدمات وتصبح ابنية فاعلة من وجودها بمراكز المدن او ذات جدوى اقتصادية، كما هو الحال في البيوت التراثية الموجودة في شارع حيفا في جانب الكرخ حيث لم يتم ازالتها اثناء انشاء المباني متعددة الطوابق والعمارات السكنية في العام 1981(صورة 5).

صورة (٥)
عدد من البيوت التراثية المنتشرة في شارع حيفا

3- النصب او الصروح الهندسية الرمزية التي تحمل فكراً او قيماً او سلوكاً وتشكل محملاً مميزاً في اطارها الزمني مثل نصب الجندي المجهول قرب ساحة الاحتفالات في جانب الكرخ ونصب الشهيد في الرصافة ونصب الحرية في ساحة التحرير (صورة 6، 7، 8).

صورة (٦)
نصب الشهيد

صورة (٧)
نصب الجندي المجهول

صورة (٨)
نصب الحرية

4- العمائر والمباني التي تحمل مدلولات تاريخية مثل المدرسة المستنصرية، بناية القشلة (مركز الحكومة القديم)، سوق الصفافير**** الواقع بالقرب من شارع الرشيد (صورة9) أو تلك التي ترتبط بحدث تاريخي مهم جعلها موقعاً مميزاً يستحق التخليد والاعتزاز كأقواس النصر او بيوت الزعماء الوطنيين او العوائل العريقة التي لا يزال امتدادها موجوداً.

5- المباني والمنشآت التي يعد وجودها ضمن النسيج الحضري ضرورياً كونها تشكل الصورة التقليدية لمرافق المدينة وتحمل بعض الخصائص المورفولوجية لتطور المدينة وصورة لاستعمالات الارض فيها والوظائف التي كانت تؤديها عبر تلك المراحل التي لا يشكل وجودها استغراب عمراني بل يمكن دمجها ضمن النسيج الحضري للمدينة بعد تأهيلها وتطورها باتجاه يحافظ على قيمتها التصميمية والجمالية ويكرس دورها الحضاري.

**** يعتبر من الاسواق القديمة التي تعود لعصر الخلافة العباسية لتوفير احتياجات طلاب المدرسة المستنصرية وكان يمرر بالخيول العسكرية فيه لتعليمها على الضوضاء الحاصلة من طرق المعادن.

صورة (٩)
سوق الصفافير في جانب الرصافة من بغداد

المبحث الثالث/ التجديد الحضري للمدينة ودوره في ظهور الفوضى المعمارية
The third topic / urban renewal of the city and its role in the emergence of architectural chaos

يتعرض النسيج الحضري في المدينة لاسيما المناطق والابنية ذات القيمة التاريخية والمعمارية الى ظروف عديدة منها الظواهر الطبيعية مثل الكوارث الطبيعية وعناصر المناخ المختلفة وتقادم الزمن والضوء والحشرات، والعوامل البشرية او تدخلات الانسان مثل الاضافات والتوسعات غير المدروسة والاستخدام الخاطئ والصيانة غير العلمية واعمال الاحلال والابدال وغيرها، وهنا تأتي أهمية التجديد الحضري كعملية مدروسة لإعادة وتثبيت الخصائص المعمارية الاصيلة لهذه المنشآت والحفاظ على الهوية المعمارية للنسيج الحضري الذي يحتوي على المراحل المورفولوجية للمدينة التي مرت بها المدينة، وهي عملية متداخلة ومتشعبة تتطلب تحديد خطة عمل يمكن اتباعها ضمن مجموعة من الشروط والاجراءات العملية والدراسات الميدانية والخبرات الفنية والتي على اساسها تتحدد سياسة معينة من سياسات التجديد الحضري، الذي يجب ممارسته على النسيج الحضري سواء كان حفاظاً ام اعادة تأهيل او تطوير للأبنية من اجل الابقاء على طابعها المعماري جمالياً وانشائياً ووظيفياً، مع مراعاة عدم التأثير على التكوينات الفضائية للإملاء الحضري ضمن النسيج التقليدي، ومحاولة الملائمة بين متطلبات الحياة المعاصرة والتطورات التكنلوجية في البناء والخدمات وبين المعايير التخطيطية والمعمارية لأحياء المدينة القديمة، بما يضمن تحسين البيئة الحضرية والمحافظة عليها(العاني والطائي، 2018، 445).

ضرورات التجديد الحضري Necessities of urban renewal

ان عمليات التجديد الحضري او برنامج لإعادة تطوير الاراضي والعقارات في المدن، من خلال اعادة اعمار المدينة وتدوير مواردها المبنية والارضية لتتوافق مع المخططات العمرانية، وكان لهذه العملية تأثير كبير على العديد من المشاهد الحضرية، حيث ادت دوراً مهماً في تاريخ وديموغرافيات المدن، وتشتمل عملية التجديد الحضري على هدم الهياكل التالفة، ونقل الاعمال التجارية، ونقل الاشخاص واستخدام الدولة حق الاستيلاء على الممتلكات للمنفعة العامة لاستعمالها في مشاريع تنموية وتجديد المدينة، ويمكن

للتجديد الحضري ان يؤدي دوراً مهماً في عدة مجالات(الكبيسي، اهمية التجديد الحضري، الانترنيت):

1- الارتقاء بوضعية السكان وتحسين ظروفهم.

2- تحسين نوعية المخزون السكني.

3- زيادة الكثافة وتجديد المساكن.

4- تحسين القدرة التنافسية الاقتصادية العالمية الكبرى لمراكز المدن.

5- تحسين المرافق الاجتماعية والثقافية للمدينة.

6- تحقيق فرص تعليمية وصحية لم تكن متوفرة من قبل.

والتجديد الحضري هو جزء مهم من مكونات التخطيط العمراني الذي يهدف الى الارتقاء بالنواحي العمرانية، وايجاد حلول مناسبة للمشاكل العمرانية كالتضخم السكاني والعشوائيات وازمة المرور وتنظيم الحركة بين السكان والخدمات، لذا فان الحاجة الى التجديد الحضري ظهرت لعدة عوامل(العاني والطائي،2018،ص457):

1- نمو المدن وتوسع مساحياً.

2- الحاجة الى انشاء الشوارع لاسيما بعد نمو التصنيع والتكنلوجيا الحديثة.

3- عدم التنسيق في استعمال الاراضي وعدم توفر الخدمات العامة المطلوبة او وجودها بمستوى لا يفي بتحقيق مناطق في مركز المدن، واصبحت مع الزمن عاجزة عن استيعاب الزيادة في عدد السكان وعم تلبية احتياجاتهم المتجددة والمتزايدة بسبب قدمها وعدم كفاءتها وكفاءة الخدمات المرتبطة بها.

والتجديد الحضري بحاجة الى مستلزمات مساعدة قبل الشروع به كإجراء العمليات الاحصائية والمسوحات والدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطبيعة الحالة العمرانية للمنطقة وما يصاحبها من تغيير، ويشمل التجديد الحضري(الكبيسي، اهمية التجديد الحضري، الانترنيت):

1- التصميم الحضري وهو حالة متخصصة اساسها الابداع ووضع حلول عمرانية لمجموعة من المباني والملامح الارضية وتصميم الفراغات وما بينها مع تقديم حلول واضحة للمرور والسابلة وتعيين مواقف السيارات، كما يهتم بوضع راسات البنية التحتية والارتقاء بالخدمات العامة.

2- اعادة تأهيل المباني او ما يعرف بإعادة الاعمار وتكون هذه في العادة على المناطق المتضررة جراء الاهمال او المنازعات او الحروب او الكوارث الطبيعية.

3- الحفاظ على الموروث العمراني التراثي بإعادة اعمار المباني او المناطق التراثية المهدمة او اصلاح الاجزاء المتضررة منها، واحياناً يمكن تغيير الوظائف لاستعمالات جديدة وحديثة لها.

4- الاملاء الحضري وهو بناء او اضافة معينة لمباني او وضع تصاميم معمارية للأجزاء الفارغة ضمن النسيج الحضري للمنطقة بوظائف ضرورية تساعد في اضفاء لمسات جمالية لمجموعة المباني المحيطة بها او تحسين المشهد الحضري والاحساس البصري للشارع او المنطقة.

مميزات المدينة العراقية التقليدية Characteristics of the traditional Iraqi city

حافظت المدينة العراقية لقرون عديدة على نظام تخطيطي مميز، كان للبيئة الطبيعية من حيث الموقع الجغرافي وظروف المناخ تأثيراً كبيراً فيه، فضلاً عن الواقع الاجتماعي والثقافي لاسيما الدور الكبير للشريعة الاسلامية والسنة النبوية الشريفة التي اكدت مفاهيم وتقاليد جاءت في اغلب الاحيان متناغمة مع العادات والتقاليد الاجتماعية العربية، كل ذلك اظهر مدينة بغداد (القديمة) بمظهر تميز(كمونة، الاهمية الاقتصادية لتأصيل المدينة، الانترنيت):

1- النسيج الحضري المتضام الذي يمثل الوحدة الاجتماعية والتعاضد بين السكان لمواجهة شتى الظروف الطبيعية والامنية.

2- تدرج الازقة المستمر الذي يمثل المعالجة الكفوءة للغبار الذي يحمله الهواء نهاراً.

3- التمحور نحو مركز المدينة الذي يمثل النشاطات الاقتصادية والدينية بشكل دائري مما يوفر الزمن في الانتقال الى هذه الانشطة.

4- اختلاف المقطع العرضي للأزقة بشكل مفاجئ مما يخلق تخلخلاً في الضغط الجوي وبالتالي احداث تيار هوائي في الزقاق.

5- الانحناءات الكثيرة والمفاجئة والنهايات غير السالكة (المغلقة) السكنية التي تزيد خصوصية المحلات السكنية وبالتالي توفير جانب الامن.

6- التركيز على الوظيفة الدينية وهيمنة المسجد على باقي منشآت المدينة

7- تخصيص اسواق ومناطق خاصة لممارسة النشاط الاقتصادي المتنوع.

ولم يقتصر تأثير الظروف الطبيعية والبشرية على المخطط العام للمدينة بل تعداه الى النظام المعماري للأبنية وللمنشآت والوحدات السكنية التي تميزت:

1- وجود الفناء الداخلي لأسباب اجتماعية (مركز تجمع العائلة) واسباب بيئية حيث ان الفناء الكبير له دور في احداث تخلخل في الضغط الجوي مما يؤدي الى توليد تيار هوائي في داخل الوحدة السكنية.

2- استخدام الجدران الصماء عديمة الفتحات لمواجهة البيئة الخارجية (البيئة الصحراوية القاسية) حيث الغبار والهواء والحرارة العالية.

3- توجيه المباني بشكل جيد بالنسبة الى اتجاه الشمس.

4- وجود السرداب الذي يمثل المكان الذي تلجأ اليه العائلة العراقية ليقيها من حر الصيف القاسي نهاراً، وكذلك لخزن الاطعمة خلال فصل الشتاء.

5- الاهتمام بالسطح الذي يكون مستوياً تماماً وسميكاً وذلك لتحقيق عملية العزل الحراري للفضاءات التي تحته، وكذلك لاستخدامه للنوم ليلاً.

6- وجود الشناشيل ذات الزجاج الملون التي تعمل كعازل حراري من جهة وتحجب العائلة عن عيون المارة من جهة اخرى فضلاً عن اعطاء لمحة جمالية للمظهر الخارجي للمبنى.

7- استخدام مواد بناء محلية والتي توفر ابسط واكفأ انواع العزل الحراري للمباني كالطابوق الفرشي والطين وجذوع النخيل.

9- زيادة سمك الجدران وملئها بالتراب.

الخلط المعماري و الفوضى المعمارية

Architectural confusion and architectural chaos

لقد تطورت المدينة العراقية وبغداد على وجه الخصوص خلال الثماني قرون المنصرمة، وتعرضت خلال عمرها الطويل لموجات متعددة من الغزوات الاجنبية والتي تركت طابعها الخاص على المدينة، الا ان اكبر تغيير حدث فيها خلال القرن العشرين حيث تعددت الانظمة السياسية التي توالت على العراق منذ الاحتلال الانكليزي وحتى الان، ان تعدد الانظمة السياسية والغزو الاستعماري طبع المدينة العراقية لاسيما بغداد بطابع جديد متأثر بثقافة الغزو من جهة وثقافة الحكام الذين توالوا من جهة ثانية، مما ادى الى تغيير مورفولوجية المدينة، وبالتالي توارى المُخَطَّط العربي التقليدي في الظل في الوقت الذي ظهرت فيه اشكال تخطيطية جديدة ومختلفة.

ان التداخل بين المخطط التقليدي القديم للمدينة والانماط التخطيطية الحديثة التي تحاكي المدينة الغربية من جهة وتحاول ان تواكب التطورات التقنية من جهة اخرى، ساهم بظهور الخلط المعماري والتداخل بين الانماط المعمارية التي اخذت تسود وتلك التي تحتفظ بالموروث الحضاري، مما خلق شكلاً من اشكال الفوضى المعمارية.

اشكال الفوضى المعمارية في مدينة بغداد

Forms of architectural chaos in the city of Baghdad

في الوقت الذي كانت فيه مدينة بغداد تعمل على تغيير حلتها العمرانية القديمة، مندفعةً خلف افكار معمارية معاصرة بعيدة عن موروثها الحضاري، كانت لا تزال تحتفظ بما تركه لها تاريخها الطويل من انماط معمارية مختلفة واشكال تخطيطية عربية وتقليدية، الا انها توقفت عن الحفاظ على هذا الموروث او محاكاته في مخططاتها الحديثة، فحدثت هوة كبيرة بين ما هو سائد وبين ما هو ملائم بيئياً واجتماعياً، ففقدت المدينة هويتها وتشوه العديد من ملامحها، وما زالت تتخبط في طرز معمارية اصبحت تتدافع للظهور فيها، وتتغاير من وقت لأخر معتمدة على النسخ والاستنساخ من الغرب بدون فهم لمدى ملائمتها للبيئة العراقية، اذ ان معظمها لا يمتلك مقومات النجاح البيئي ولا تعبر عن هوية المدينة والمجتمع فظهرت اشكال من الفوضى المعمارية يمكن تحديد ملامحها بما يلي:

1- تدهور المدينة القديمة (صورة 10) وتشويه وتخريب التراث العمراني ناشئ عن عدم الاهتمام والعناية بالمباني التراثية سواء من قبل السكان انفسهم او من قبل الجهات المعنية بها ولعقودٍ طويلة، وضعف اداء الكوادر الهندسية والفنية العاملة في مجال الحفاظ على التراث العمراني.

صورة (١٠)
تدهور الابنية والمناطق القديمة في بغداد

ومن أبرز معالم بغداد الأثرية التي باتت مهددة بالزوال شيئا فشيئا هي المدرسة المستنصرية في قلب بغداد التاريخيّة والتي فقدت رونقها بعد أن باتت محاصرة بالأسواق العشوائيّة والمزابل (صورة11)، وشارع أبو نؤاس المطل على نهر دجلة والذي كان يعج بالبيوت الأثرية والشناشيل، باتت جل مبانيه مهترئة وبعضها انتهى وانهار بفعل الاهمال وعدم الصيانة.

صورة (١١)
المدرسة المستنصرية في قلب بغداد التاريخية تحاصرها الاسواق

وهناك اسباب اخرى ساهمت في اهمال المباني التراثية مثل تعقيدات الملكية العقارية جراء انتقالها عن طريق الميراث الى عدد من الورثة مما يتسبب عن عدم صيانتها وترميمها، كما ان القوانين والتعليمات اتي صدرت بتجميد الايجارات في المدن العراقية التي تحرم مالكي المباني للتراثية من الريع العقاري ادى الى عدم الاهتمام بترميمها وصيانتها، فضلاً عن المضاربات العقارية التي تهدف بالدرجة الاساس الى الربح المادي على حساب التراث العمراني في المدن لاسيما في المناطق ذات البعد الديني مثل الكاظمية والاعظمية والصعود الكبير لأسعار العقارات في السنوات الاخيرة(الانصاري، التراث العمراني للمدن، الانترنيت). ونتيجة لغياب لتخطيط والاهتمام بالتراث بعد العام 2003، فقد ازيلت مئات من البيوت التراثية المنتشرة في جانب الرصافة من بغداد ولم يتبقى منها سوى (200) بيت، لاسيما المناطق المحصورة بين شارع الجمهورية وباب المعظم حتى

ضفاف نهر دجلة وتحولت معظمها الى مراكز تجارية، متجاوزين بذلك القوانين***** التي تحد من هدم البيوت التراثية وتحويلها الى انشطة اخرى(جريدة الزمان الدولية، 2012، ع4219).

2- تداخل الطراز المعماري الشرقي التقليدي مع الطراز المعماري الحديث في البناء ونظام الشوارع، فحدثت هوة كبيرة بين الانماط المعمارية والتخطيطية السائدة، حيث يمكن ملاحظة المباني التي تقوم على جانبي اغلب شوارع بغداد تتنافى مع موروث المدينة الحضاري، والحاجة الفعلية للعمارة، فاختفى الطراز المعماري التقليدي للبيت العربي وحلول تصاميم غربية بديلاً عنه، فظهرت ابنية مستنسخة من تصاميم لأبنية غربية، مع عدم اعتبار الجانب المناخي في تصاميم الشبابيك والواجهات، وقلة استخدام مواد البناء المحلية، فشاع التلوث البصري بسبب تعدد الوظائف وعدم وجود تصميم معماري موحد للشوارع وتنوع طراز الواجهات واسلوب البناء، اما من الناحية التصميمية فقد ادت التصاميم الحديثة الى تمزيق النسيج الحضري التقليدي وشيوع نمط التخطيط المتشابك بشق الطرق والشوارع العريضة بديلاً عن الشوارع العضوية والازقة الضيقة كما هو الحال في شارع الرشيد والخلفاء، مما افقد المدينة مميزات الامن فيها ومقاومتها للمناخ(كمونة، الاهمية الاقتصادية لتأصيل المدينة، الانترنيت).

3- التداخل الوظيفي في منطقة واحدة بين السكني والخدمي والتجاري والصناعي، فكثرت ظاهرة التنوع والتنافر لاستعمالات الارض لاسيما في مركز المدينة، وكثرة الصناعات وما تجلبه من انواع التلوث البيئي، وزيادة اعداد السيارات وما تبعها من مشاكل مرورية، وتغيير النمط الوظيفي لأحياء المدينة التاريخية وتحويله في معظم اجزاءه الى اسواق تجارية لتجارة الجملة، وتراجع مستوى خدمات البنية التحتية المتوفرة، وغياب استراتيجية شاملة وواضحة للتعامل مع المناطق والمباني التراثية، فترسخت سياسة ازالة معظم هذه الابنية التي اعتُبِرَ وجودها معيقاً لمشاريع التخطيط الحديثة(المبارك، التراث العمراني لبغداد، الانترنيت)، فزُرِعُت ابراج خرسانية في قلب المدينة والمناطق القديمة منها بدعوة القضاء على المناطق المتردية واستبدالها بمباني حديثة وعصرية.

4- انتشار العشوائيات ضمن التصميم الاساس للمدينة، ويمكن تعريف العشوائيات على أنها أي نشاط يقوم به الإنسان ولا يخضع للشروط والأنظمة والقوانين، وتظهر بشكل تجاوزات أما على حساب أملاك الدولة وهي الأكثر انتشاراً، أو ممتلكات الأفراد، وينطبق ذلك على الاستخدام السكني والتجاري والصناعي والخدمات المرتبطة بها وأي نشاط اقتصادي آخر، وتأخذ التجاوزات شكل الانتشار غير المنظم للظاهرة البشرية، وقد تفاقمت هذه الظاهرة في مدينة بغداد بعد العام 2003 والسنوات اللاحقة بسبب زيادة عدد السكان وانخفاض التنمية في القطاع السكني مقابل الارتفاع في اسعار الوحدات السكنية (الارض ومواد البناء) وتعطيل القوانين والأنظمة، كل ذلك ادى الى انشاء وحدات سكنية غير نظامية على مساحات واسعة من الاراضي التابعة للدولة ضمن التصميم الاساس للمدينة كالساحات والاراضي المخصصة للخدمات او المتنزهات(حمدان، 2020، 106- 107).

******* قانون الاثار 55 لسنة 2002 المادة 28 تنص على (اولاً - لا يجوز التجاوز على المباني والاحياء التراثية المعلن عنها في الجريدة الرسمية او هدمها او تغيير المهنة والاختصاص الذي يمارس في المحلات والاسواق والشوارع التراثية او الغاء وظيفتها الاساسية التي منحتها الصفة التراثية).**

ولم تقتصر العشوائيات على الاستخدام السكني فحسب بل ظهرت انواع اخرى اخذت تكتسح شوارع بغداد وهي العشوائيات التجارية التي ظهرت بعدة اشكال منها تجاوزات من قبل اصحاب المحال التجارية على الارصفة المواجهة لمؤسساتهم التجارية(صورة 12)، إذ يحتكر أصحاب المحلات التجارية والمطاعم مساحاتٍ من الأرصفة أمام محلاتهم مما يؤدي إلى حرمان المواطن من حقه في استعمال الرصيف، كما يساهم في تشوه الأرصفة وفقدانها للعناصر الجمالية.

صورة (١٢)
تجاوز اصحاب المحال التجارية على الارصفة

والشكل الاخر هو(باعة الارصفة) او ما يطلق عليه محلياً (البسطات) (صورة 13) حيث اصبحت أرصفة بغداد مشروع دائم للأسواق المتجولة أو أسواق الأرصفة.

صورة (١٣)
انتشار باعة الارصفة في بغداد

هذه الظاهرة ومثيلتها من الباعة الجوالين لا تنفرد بها مدينة بغداد، بل تنتشر في جميع المدن الكبرى في العالم، إلا أنها تعتبر دخيلة على البيئة الحضرية العراقية، إذ أخذت تتسيد الواقع الخدمي والاقتصادي والاجتماعي في المدينة، وتزحف على الشوارع الرئيسة خلال العقد الاخير من القرن الحادي والعشرين والعقدين التاليين من القرن الحالي، وأصبح انتشارها عشوائياً غير خاضع للضوابط والشروط الأمنية والبيئية والتخطيطية، وامتدادها ونموها المتسارع بهيئة متوالية هندسية، منتشراً في أغلب أرصفة الشوارع التجارية الرئيسية والثانوية وفي المناطق السكنية، وفي الغالب تمتد بضائعهم المعروضة لتحتل جزءً من حيز الشارع المخصص للمركبات، مما يثير الفوضى

المرورية، ويعيق حركة المشاة والمركبات، فضلاً عما تسببه هذه الظاهرة من تلوث البيئة الحضرية بالنفايات والمخلفات الصلبة، ولا يكاد يخلو شارع تجاري أو منطقة تجارية من هذه الظاهرة حتى أصبحت من مميزات مدينة بغداد، ومن المظاهر الشائعة في شوارع مثل السعدون، و الباب الشرقي، وباب المعظم، و علاوي الحلة، وشارع البياع، وشارع الرشيد وشارع الجمهورية وشارع الكفاح وأحياء الكاظمية والأعظمية... وغيرها، والتي تعتبر من اكبر أسواق الأرصفة نهاراً، بينما تعد منطقة الكرادة داخل والمنصور من اكبر أسواق الأرصفة مساءً، وجاءت هذه التجاوزات (العشوائيات) بعدة أشكال، (بسطات) يفترشها الباعة وأكشاك ومطاعم.

النتائج Results

من اجل تحقيق التوازن بين التخطيط المعاصر للمدينة الذي تفرضه عملية التطور التكنلوجي والحاجات المختلفة للسكان من الخدمات المتنوعة في مجال النقل والاتصالات والثقافة والصحة والبنى التحتية وغيرها، يصبح من الضروري الجمع بين عناصر المتانة والكفاءة والجمال والابداع على مختلف المستويات في عملية تخطيط المدينة مع الاخذ بنظر الاعتبار الواقع التاريخي والاجتماعي والثقافي للمجتمع العراقي وطبيعة البيئة المناخية في المدن العراقية لاسيما مدينة بغداد، لذا يصبح من الضروري ان يراعي المخطط عدة امور:

1- تخفيض الكثافة السكنية والسكانية من خلال تطوير الضواحي الحديثة للمدن، وهذا يساعد على توسع رقعة المدينة ويولد اتجاه جديد في التخطيط.

2- اعادة تنظيم مراكز المدن بطريقة تتناسب والتطور التكنلوجي من جهة وحاجات سكان المدينة واقليمها من جهة ثانية.

3- الاهتمام بصيانة الموروثات الحضارية التخطيطية والمعمارية في المدينة، وتوجيهها لتحقيق مردود اقتصادي مهم للمدينة من خلال تهيئتها لأغراض الترفيه والسياحة وتوفير الخدمات السياحية المرتبطة بها.

4- ظهور الابنية متعددة الطوابق لعلاج مشاكل وظيفية عديدة منها الوظيفة السكنية، مع مراعاة التنسيق في التصاميم والالوان، وملائمتها للظروف المناخية ومحاولة محاكاة التراث المعماري لمدينة بغداد، والعمل على عدم حدوث تداخل عشوائي بين الابنية الحديثة وتلك التي لا تزال تحتفظ بطرازها التقليدي.

المصادر Sources

1. الاشعب، خالص حسين، و صباح محمود محمد، مورفولوجية المدينة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1983.
2. الاشعب، خالص، مدينة بغداد نموها بنيتها تخطيطها، دار الجاحظ، بغداد، 1982.
3. الانصاري، رؤوف محمد علي، التراث العمراني في المدن العراقية والافاق المستقبلية للتنمية، الموضوع على الرابط:
http://www.annabaa.org/arabic/development/19523
4. الدليل السياحي، السياحة التاريخية والأثرية، وزارة السياحة والآثار العراقية، هيئة الآثار، موقع الوزارة على الرابط:
http://www.tourismiq.com/index.php?ption=com-content&view=article&id=2668

5. الزبيدي، شاكر سلمان، دراسة شبكات النقل لمدينة بغداد بين التصميم والتنفيذ المنظور العمراني لمدينة بغداد، مطبعة دار الحكمة، بغداد، 1991.
6. الزبيدي، صلاح داود سلمان، الاتجاهات السكانية لنمو مدينة بغداد، اطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 1998.
7. الزبيدي، مصطفى جليل ابراهيم، التغيير في البنية الحضرية للمدينة العربية الاسلامية مدينة بغداد كنموذج، معهد التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا ، جامعة بغداد، الموضوع على الرابط: http://www.cpas-egypt.com/pdf/Mostafa-El-Zebedy/Researchs/005.pdf
8. العاني، محمد جاسم شعبان، و زهراء محمد جاسم الطائي، المدينة بين النشأة وتطور الخصائص الحضرية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2018.
9. الفلاحي، قاسم شاكر، التوزيع الجغرافي للمنشآت الصناعية وأثرها على أزمة السكن في مدينة بغداد، مجلة العرب والمستقبل، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، السنة الثانية، العدد 2004.
10. القدسي، عصام، منطقة الفضل وعبق تاريخ بغداد القديم، على الرابط: https://www.alnaked-aliraqi.net/article/42863.php
11. الكبيسي، فلاح صباح، اهمية التجديد الحضري للمدن العراقية، شبكة النبأ المعلوماتية، اقتصاد وتنمية، على الرابط: http://annabaa.org/arabic/economy/develompment/19368
12. الملاح، اياد، منطقة الشواكة وتاريخ يتحدى التآكل، على الرابط: https://www.alhurra.com/a/204460.html
13. الملاحويش، عقيل نوري، العمارة الحديثة في العراق تحليل مقارن في هندسة العمارة والتخطيط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988.
14. الناصري، رؤوف، بغداد في تطورها العمراني، الموضوع 2013/12/6، س 12:05ص، على الرابط: http://www.iraqnla-iq.com/baghdad%20memory/nbtha2.htm
15. جريدة الزمان الدولية، العدد 4219، بتاريخ 2012/6/6، الموقع على الرابط: http://www.azzaman.com
16. حمدان، سوسن صبيح، دراسات في مشاكل المدينة العربية المعاصرة، دلير للطباعة والنشر، بغداد، 2020.
17. خضير، عامر شكر، و رنا صبحي ناصر، عمارة الحداثة في تخطيط مدينة بغداد، مجلة المخطط والتنمية، معهد التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا، العدد 22، 2010.
18. قانون التصميم الاساس لمدينة بغداد رقم 156 لسنة 1971، المكتبة القانونية العراقية للحكم المحلي، بغداد 1972.
19. كمونة، حيدر ، الاهمية الاقتصادية لتأصيل المدينة العراقية المعاصرة، الموضوع على الرابط: http://www.taakhinews.org/tasearch/admin/wmnews.php?act=mod&ArtID=8688&Artcat=20

20. مبارك، سالي، التراث العمراني لبغداد بين الرؤية والامل، الموضوع على الرابط
http://www.alnoor.se/article.asp?id=339684
21. موقع امانة بغداد على الرابط:
http://www.amanatbaghdad.org.iq/uploods/mandoorbaghdad/7.doc
22. يوسف، شريف، تاريخ العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، 1982.

Dialogue between Man and Architecture Form, PH.D Dossertation, Univ, of Pennsylvanina, p.113.

Urban Problems in Iraqi cities (Architectural chaos in Baghdad)

the professor . Sawsan Sabeh Hamdan

Abstract:

The city of Baghdad developed during the past eight centuries, and during its long life it was exposed to multiple waves of foreign invasions that left its own character on the city, but the biggest change occurred in it during the twentieth century where the political systems that have rolled over Iraq since the English occupation have prevailed until now, which was printed The city has a new character, which led to a change in the morphology of the city, and thus the traditional Arab scheme disappeared in the shadows at a time when new and different forms of planning appeared.

The overlap between the ancient traditional plan of the city and the modern planning patterns that simulate the western city on the one hand and trying to keep pace with technical developments on the other hand, contributed to the emergence of the architectural confusion and the overlap between the architectural patterns that prevailed and those that retain the cultural heritage, which created a form of architectural chaos, In addition to other forms of architectural chaos that the city suffers from, the deterioration of the old city, the functional overlap between the uses of land in a single area, and the spread of slums.

Key words: Baghdad, morphological stages, architectural chaos